المحاضرة الثالثـة :

الأسلوبية التعبيرية

أسس شارل بالي الأسلوبية سنة 1902 وكان موضوعها الخطاب الألسني عامة ، لم يعمد إلى تقسيم الخطاب خطاب أدبي وخطاب نفعي إنما صنفه إلى نوعين هما : « ما هو حامل لذاته غير مشحون البتة وما هو حامل للعواطف والخلجات وكل الانفعالات ، ذلك أن المتكلم –حسب بالي– قد يضفي على معطيات الفكر ثوبا موضوعيا عقليا مطابقا جَهد المستطاع للواقع ، ولكنه في اغلب الأحيان يضيف إليها– بكثافات متنوعة– عناصر عاطفية قد تكشف صورة الأنا في صفائها الكامل ، وقد تغيرها ظروف اجتماعية مردها حضور أشخاص آخرين أو استحضار المتكلم لهم » .

فأسلوبية بالي تهتم باللغة المشحونة بالعواطف والانفعالات التي تكشف صورة الأنا منفردة أو في علاقاتها المختلفة ، لذلك فالأسلوبية عنده تعنى « بالبحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة ، وتدرس الأسلوبية عند بالي هذه العناصر من خلال محتواها التعبيري والتأثيري » .

ألف شارل بالي مجموعة من الكتب أكد فيها على دراسة اللغة في محتواها التعبيري التأثيري أهمها : " الأسلوبية الفرنسية" و" الوجيز في الأسلوبية " و" اللغة والحياة" و" اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية" ، وقد حذا حذوه العديد من الأسلوبيين « فجول ماروزو رفض أن يحصر الأسلوبية في اللغة المحكية فقط و مارسيل كريسو دعا إلى دراسة ما تشتمل عليه الأساليب من جوانب وجدانية ، أما روبرت سايس رفض عزل اللغة عن سياقها، في حين أن ستيفان أولمان أدخل في التحليل الأسلوبي مفاهيم تعدد المعاني والانحراف والإيحاء والاختيار وأسباب الاختيار بالنسبة للكاتب » .

تأتي الأسلوبية التعبيرية لتتبع بصمات الشحن العاطفي في الخطاب عامة ، وهو ما سماه جورج مونان بـ " التشويه " الذي يصيب الكلام ، والذي يحاول المتكلم أن يصيب به سامعه في ضرب من العدوى ، فهي تعنى بالجانب العاطفي في الظاهرة اللغوية وتقف على استقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه .

انطلق شارل بالي في تأسيسه لملامح هذا الاتجاه من دراسة البلاغة القديمة حيث اهتم بالنبر والصور والأساليب، فلم يتوقف عند قواعدها الجامدة، بل تعداها إلى الاهتمام بالقيم التعبيرية والانطباعية التي يختزلها الأسلوب على شكل شحنات وموجات عاطفية ، إذ يهتم بالمضمون العاطفي الذي يُعبر عنه بالتراكيب اللغوية .

لم تغفل الدراسات العربية دور شارل بالي في التأسيس للأسلوبية التعبيرية ، فقد عرض صلاح فضل آراءه وطريقته في تحليل الوقائع الأسلوبية ، مبينا مهمة علم الأسلوب في تحديد أنماط التعبير من خلال دراسة الوسائل والإجراءات التي تؤدي إلى إنتاج اللغة ، وأثر الظواهر الأسلوبية في المتلقي ، والانفعال المصاحب للتعبير...، وقد حاول صلاح فضل تحديد خصائص الأسلوبية التعبيرية متمثلة في :

1-البحث عن مكامن القوة التعبيرية في اللغة على جميع مستوياتها .
2-تحليل علاقاتها بالفكر وبالشخصية الجماعية بدراسة أهم العناصر التعبيرية .

كما حاول حمادي صمود تحديد تلك الخصائص ، مبينا الاعتبارات التي أسس عليها شارل بالي أسلوبيته ، إذ :

1- جعل اللغة هي مادة التحليل الأسلوبي ، وليس اللغة الأدبية فقط .
2- يرى بأن اللغة حدث اجتماعي صرف ، يتحقق بصفة كاملة وواضحة في اللغة اليومية الدائرة في مخاطبات الناس ومعاملاتهم .
3- يعتبر بالي كل فعل لغوي فعلا مركبا تمتزج فيه متطلبات العقل بدواعي العاطفة ، بل إن الشحنة العاطفية أبين وأظهر في الفعل اللغوي .

استطاعت الأسلوبية التعبيرية أن تكون ذات أثر في مختلف الدراسات اللغوية خاصة ما تعلق منها بالمعجم والتراكيب والدلالات ، كما استطاعت ربط اللغة بالنواحي الاجتماعية والنفسية والبحث في علاقة التفكير بالتعبير بإبراز مختلف الشحنات العاطفية والانفعالية ، لكنها مع اهتمامها بالجانب الوجداني أغفلت الأبنية النصية وعلاقاتها ، وهو ما أدى إلى ظهور اتجاه أسلوبي جديد يعنى بهذا الجانب وهو الأسلوبية البنيوية.